الاتجاه النسبي في الأخلاق في إحدى الفلسفات المعاصرة

"وليم جيمس نموذجًا"

د. نجاح موسى علي

مدرس الفلسفة- كلية الآداب- جامعة سوهاج

مقدمة:

قبل الخوض في الأخلاق النسبية(*) عند وليم جيمس نود الإشارة إلى أن مذاهب الفلسفة الخلقية تنقسم إلى اتجاهين رئيسيين بالرغم من الاختلافات الفرعية داخل كل اتجاه منهما:

الاتجاه الأول: الاتجاه المطلق Absolute أو المثالي:

هو اتجاه المثاليين من الحدسيين والعقليين الذين ردوا حقيقة الوجود وطبيعة المعرفة إلى العقل (أو الحدس) دون الخبرة الحسية، وأكدوا أن العقل دون الحواس هو مصدر المعرفة التي تصدق حقائقها في كل زمان ومكان، وأن معرفة الأشياء تتم عن طريق مبادئ عقلية عامة مطلقة. وقد امتدت هذه المثالية الإبستمولوجية إلى مجال الأخلاق، فذهبوا إلى القول بقيم إنسانية مطلقة absolute لا تستمد من الخبرة الحسية، ولا تتغير بتغير الزمان والمكان، بل تنبع من العقل البشري، وتكون مسايرة لأسمى جانب في طبائع البشر، وبالتالي تكون إنسانية عامة يلتقي عندها الناس في كل زمان ومكان(١).

وعلى هذا الأساس كانت مهمة علم الأخلاق عند أصحاب هذا الاتجاه هي وضع القواعد الثابتة والمبادئ الكلية التي تحكم سلوك الإنسان، والمبادئ الأخلاقية عندهم لا يصح أن تكون وسيلة لغاية أبعد منها، بل يجب أن تكون هي غاية في حد ذاتها. وبهذا المعنى يكون علم الأخلاق عند المثاليين علمًا معياريًا Normative وليس علمًا وصفيًا، أي يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني، وليس فيما هو كائن من أنماط السلوك البشري(٢).

أنيا الاتجاه الثاني وهو الاتجاه النسبي Relative:

فقد تصدى لمهاجمة الاتجاه التقليدي، وأنكر أصحابه القول بوجود قيم أخلاقية مطلقة، وكان موقفهم الأخلاقي امتدادا لموقفهم الإبستمولوجي. ولإيضاح هذا الموقف يمكن القول: إن الواقعية الإبستمولوجية ترد حقيقة الوجود، وطبيعة المعرفة إلى الخبرة الحسية دون العقل أو الحدس، وبالتالي أكدت أن القيم الأخلاقية Moral Values ترتد إلى الخبرة الحسية، كما أشار أصحابها أيضا إلى أنها تنبت في المجتمعات البشرية تلقائيا، وليست من وضع فلاسفة الأخلاق. وبالتالي تكون القيم في كل الحالات نسبية Relative متغيرة وليست عامة مطلقة. ومن ثم فإن دراستها تنصب على وصفها، وتقرير حالتها كما هي موجودة بالفعل دون أن تتجاوز هذا المجال الواقعي إلى تصوير ما ينبغي أن يكون[٢].

هذا الاتجاه النسبي في فلسفة الأخلاق هو الاتجاه الواضح عند فيلسوفنا وليم جيمس كما يتضح لنا من خلال هذا البحث.

أما عن فيلسوفنا الأمريكي المعاصر وليم جيمس W. James (١٨٤٢-١٩١٠) (*)، فهو يعتبر من أشهر أعلام الفلسفة البراجماتية Pragmatism، وقد ذاعت على يديه تلك الفلسفة، وانتشرت لا في أمريكا فحسب، بل كذلك في أوربا، وأصبحت أكثر ارتباطا باسمه من ارتباطها بتشارلس بيرس Ch. S. Peirce (١٨٣٩-١٩١٤) مؤسس هذه الحركة.

وقد ذهب وليم جيمس وغيره من الفلاسفة العمليين إلى القول بالأخلاق النفعية أو العملية. وخلاصة موقفهم أن مقياس الخير والشر في مجال الأخلاق هو نفسه مقياس الحق والباطل في مجال المعرفة، وهو منفعة الإنسان، أو ما يترتب على الفعل من نتائج في الحياة العملية.

ويرى بعض الباحثين أن الفلاسفة البراجماتيين قد اتفقوا في هذا الصدد مع السوفسطائيين في رد القيم إلى الإنسان، ولكنهم خالفوا السوفسطائية في جعل الإنسان بوجه عام – وليس الفرد – هو معيار القيم، فقصدوا بذلك التجربة الإنسانية ككل، وهي التي تصطبغ بطابع اجتماعي. أي أن الخير في نظر البراجماتيين – بما فيهم وليم جيمس – هو الحل الموفق لكل ما يعوق التقدم الاجتماعي، أو ما يسهم في حل مشكلة تواجه الإنسان، وبالتالي فالقيم بمختلف صورها: خلقية أو جمالية أو اقتصادية، تعد في نظرهم

قيمًا نسبية متغيرة، تتوقف على الأغراض التي تحققها، أي أنها مجرد وسائل لتحقيق غايات وليس غاية في ذاتها[٤].

والآن لكي تتضح لنا معالم المشكلة الخلقية عند وليم جيمس، أو بعبارة أخرى لكي يتضح لنا المفهوم النسبي للأخلاق عن هذا الفيلسوف لا بد من تناول العناصر الآتية:

١. معنى البراجماتية عند وليم جيمس أو المنهج البراجماتي.
٢. المشكلة الخلقية بجوانبها المختلفة، وتشمل:
   أ. الإلزام الخلقي عند وليم جيمس.
   ب. السلوك الخير أو السلوك الفاضل.
   ج. إنكاره ورفضه للأخلاق المطلقة وقوله بالأخلاق النسبية.

المنهج البراجماتي عند وليم جيمس:

لقد أراد وليم جيمس بالطريقة البراجماتية (سلطان) أن يقف موقفًا وسطًا بين المذهب التجريبي من ناحية، والمذهب العقلي من ناحية أخرى، حيث إن كليهما يهمل جانبًا معينًا من جوانب الطبيعة البشرية.

لقد لاحظ جيمس أن المذهب التجريبي شديد الإخلاص للوقائع الجزئية والأشياء المحسوسة، وشديد الاهتمام بالمشاهدات والتجارب وهذا ما يميزه، ولكنه يهمل القيم الخلقية والدينية للإنسان. فالإنسان له مطالب وحاجات مثل الإيمان والحرية والأمل والتفاؤل، ورغبته في تحصيل السعادة وغيرها. كذلك لاحظ وليم جيمس أن المذهب العقلي يعنى ويهتم بهذه الحاجات الروحية للإنسان، ولكنه ينكر أو يهمل الوقائع الجزئية والأشياء التجريبية[٥].

ومن هنا رأى وليم جيمس أن هذين الاتجاهين يوقعان الفيلسوف في مأزق اختيار بينهما، وأن الإنسان لا يستطيع تفاديهما معًا، أو الجمع بينهما. وبالتالي شعر جيمس أنه بحاجة إلى اتخاذ موقف وسط بين هذين الاتجاهين، بحيث يحقق الإخلاص للواقع والتجربة من ناحية، ويدخل في اعتباره الإيمان بالقيم الروحية في نفس الوقت، فنادى بالفلسفة البراجماتية أو بعبارة أدق بالمنهج البراجماتي[٦]. وفي هذا الصدد يقول:

"وهنا وعند هذه النقطة بالذات أجد أن حلي يبدأ في الظهور، إنني أقدم البراجماتية ذات الاسم الغريب كفلسفة في وسعها أن تشبع كلا النوعين من المطالب، وتفي بالأمرين معًا، ففي وسعها أن تظل دينية كالمذاهب العقلية، ولكنها في نفس الوقت

مثل المذاهب التجريبية تستطيع أن تحتفظ بأغنى وأنسب صلة وثيقة بالوقائع والحقائق"[٧].

كذلك يشير وليم جيمس في موضع آخر قائلا:

"إن الطريقة البراجماتية هي في الأصل، وبصفة أولية مجرد منهج فقط أو طريقة لحسم المنازعات الميتافيزيقية بالتوضيح والتحديد مثل: هل العالم واحد أم متعدد؟ أو ميسر أو مقدر؟ مادي أم روحي؟ إن الطريقة البراجماتية في هذه الحالات هي محاولة لتفسير كل فكرة بتتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية كلا على حدة"[٨]. وفي هذا الصدد يذهب بعض الباحثين إلى أن البراجماتية هنا تعتبر حلولا للاستدلالات القبلية والمبادئ الصارمة والأنساق المغلقة، والافتراضات المطلقة، وعودة إلى المحسوسات والوقائع[٩].

وإيضاحا لما سبق، يمكن القول:

لقد نشر تشارلس بيرس C. S. Peirce (١٨٣٩-١٩١٤م) في عام ١٨٧٨م بحثا بعنوان "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" How to make our ideas clear? وقد أشار فيه إلى أن الفكرة تكون واضحة بالقياس إلى آثارها العملية المترتبة عليها. وسار وليم جيمس متابعا أستاذه في نفس الطريق، ولكنه وسع من معنى النتائج المترتبة على الفعل والسلوك على أساس تشمل النتائج المباشرة وغير المباشرة على السواء.

وهذا ما يشير إليه بقوله:

"وإذن فلكي نبلغ الوضوح التام في أفكارنا عن موضوع ما، فإنا لا نحتاج إلا إلى اعتبار ما قد يترتب عليه من آثار يمكن تصورها، ذات طابع عملي قد يتضمنها الشيء أو الموضوع، وما هي الأحاسيس التي يتعين علينا أن نتوقعها منه، وما هي ردود الأفعال التي ينبغي أن نتخذها. فإدراكنا وتصورنا للمعاني الكلية لهذه الآثار، والنتائج سواء أكانت مباشرة أم بعيدة (غير مباشرة) هو عندئذ كل تصورنا للموضوع أو الشيء"[١٠].

لقد وضع وليم جيمس قاعدتين لمنهجه[*]، كالآتي:

أولا- إذ كان لديك قضيتان، واعتقدت بصدقهما معا، فانظر إلى أثر كل منهما على سلوكك العملي. إن اختلف سلوكك نتيجة اعتقادك بالقضية الأولى عن السلوك الناتج عن اعتقادك بالقضية الثانية، إذن فالقضيتان مختلفان حقا، وإذا لم يوجد اختلاف عملي بينهما، بمعنى أنه لم يوجد اختلاف في السلوك نتيجة اعتقاد الفرد بكل منهما، فتأكد أنهما قضية واحدة، ولكن بصورتين لفظيتين مختلفتين"[١١].

ثانيا: إذا لم يوجد أي أثر عملي في سلوكك نتيجة اعتقادك بصدق قضية ما، يختلف عن سلوكك نتيجة اعتقادك بكذبها، فاعتبر أن هذه القضية لا معنى لها، بل لا وجود لها؛ إذ أن دلالة الفكرة فيما ينتج من أثر في السلوك[١٢].

وهكذا يتضح لنا أن المحك النهائي لاختبار صحة أية فكرة هو -في نظر وليم جيمس- المحك العملي، فإذا ما ترتبت على الفكرة نتائج نافعة، كان هذا دليلا على صدقها، فلا فرق بين وصفك لفكرة أنها صحيحة، وبين وصفك لها بأنها "مفيدة" Expedient[١٣].

وعلى هذا الأساس يرى أحد الباحثين أن الفلاسفة البراجماتيين بما فيهم وليم جيمس يتفقون مع الحسيين أو التجريبيين الذين يوجهون النقد أيضا ضد الصور الذهنية، ويرون أنها إدراكات أو انطباعات باهتة، أو أنها ليست إلا هذه الإدراكات والانطباعات بعد أن يكون قد ضعف تأثيرها. ولكن البراجماتيين يختلفون عنهم في أنهم قد فهموا التجربة بمعنى أكثر اتساعا من معناها عند الحسيين[١٤].

فالفلاسفة الحسيون أو التجريبيون يفهمون التجربة باعتبارها العقل الذي يشمل جميع الإدراكات والانطباعات الحسية، أما البراجماتيون فيعتبرونها مثيرات ومنبهات للقيام ببحث أو تحقيق ينتهيان بالمعرفة، أي منبهات للتفكير والسلوك[١٥].

ووفقا لما سبق يمكن القول إن عالم الخبرة يشتمل عند البراجماتيين على دائرتين: دائرة الآثار الحسية، ودائرة الأفعال والسلوك. وكلاهما يقع في الخارج، ويمثلان واقعا ملموسا، ولكن دائرة الأفعال الإنسانية تعبر عن ردود أفعال الناس واستجاباتهم تجاه الأشياء المحسوسة التي هي منبهاتهم، أو تعبر عن وظائف هذه الأشياء في حياتهم. ولهذا فإن دائرة الخبرة لا تشتمل فقط عند البراجماتيين على انطباعات حسية متفرقة، بل تضم مجموعة من العلاقات بين الإنسان والأشياء من ناحية، ومجموعة أخرى من العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع بعضهم مع البعض الآخر من ناحية أخرى من حيث إنهم يتداولون تلك الأشياء[١٥].

وهكذا يتضح لنا أن البراجماتية قد أضافت الكثير إلى معنى التجربة، ووسعت من دائرتها، ولهذا يقدم وليم جيمس فلسفته على أنها الفلسفة التجريبية الأصيلة (الراديكالية) Radical Empiricism على أساس أن التجربة التي نجدها عند

الفلاسفة الحسيين ليست إلا تجربة سلفية ومحصورة في نطاق الانطباعات الحسية فقط[١٦].

وفي هذا الصدد يشير فردريك مايير F. Mayer إلى أن جيمس على خلاف كانط E. Kant لا يهتم بالشيء في ذاته، بل يهتم بالخبرة أو التجربة Experience، وهي ليست منفصلة أو ساكنة، بل مستمرة في حالة تقدم، أي في حالة ديناميكية (سلطان)، بحيث لا تتضمن الموضوعات فقط، بل العلاقات Relations أيضا[١٧].

إن الفكرة عند وليم جيمس أشبه ما تكون بالسلعة المطروحة في السوق، إذا عادت بالربح على صاحبها كانت سلعة حقيقية، وإذا لم تعد بهذا الربح كانت سلعة بائرة لا تستحق حملها، كذلك الفكرة إذا كان لها نتائج عملية نافعة، كانت فكرة صحيحة، وإذا لم تحقق هذه النتائج النافعة كانت فكرة باطلة، وعلى هذا الأساس نادى وليم جيمس بما أطلق عليه اسم القيمة الفورية Cash-Value، ووفقا لهذه النظرية البراجماتية يهدف نشاطنا العقلي وتفلسفنا إلى محاولة حل الصعوبات التي تنشأ في مجرى محاولتنا للتعامل مع الخبرة.

إن القيمة الفورية لأفكارنا إنما تتمثل في الاستخدام الذي نعده لها. ولا بد من حدوث الفارق العملي بين الاعتقاد بصحة الفكرة، وبين الاعتقاد ببطلانها؛ حيث إن الفكرة الصحيحة يكون لها هذه القيمة الفورية، أي تحقق فائدة في الحياة العملية على عكس الفكرة الخاطئة[١٨].

وخلاصة القول: إن المنهج البراجماتي عند وليم جيمس كان ثورة على الفلسفة التجريبية، حيث أنكرت قضايا الدين والإيمان، وثورة كذلك على الفلسفة العقلية، حيث كانت حلولا مجردة غير مجدية، ومن هنا نفهم إعلان وليم جيمس عن منهجه أنه يتصف بالثورة على الأبنية المجردة Abstract والنظريات القبلية Apriori theories والمبادئ الثابتة، والمذاهب المغلقة، والحلول الكلامية، كما أنه يتصف أي المنهج بالإخلاص للوقائع الجزئية والنتائج المحسوسة والآثار المحددة[١٩].

وبالإضافة إلى ما سبق يشير وليم جيمس إلى أن الصدق (أو الحقيقة) Truth والمنفعة صفتان مترادفتان للفكرة بقوله:

"أسمي الفكرة صادقة (حقيقية) حين أبدأ بتحقيقها تحقيقا تجريبيا، فإذا ما انتهيت من التحقيق وتأكدت من سلامة الفكرة سميتها نافعة"[٢٠].

ثم يقدم وليم جيمس مثالا على ذلك قائلا:

"إذا قدر لي أن أضل طريقي في الغابة، وأتضور جوعا ثم وجدت ما يشبه طريقا مطروقا للبقر، فإنه الأمر بالغ الأهمية إلى الدرجة القصوى، إنني يتعين علي أن أعتقد بوجود مقام أو مأوى إنساني في نهايته، لأنني إذا فعلت ذلك ومضيت في أثره سأنقذ حياتي".

"إن الفكرة الصحيحة نافعة هنا؛ لأن المقام أو المأوى الذي هو هدفها أو موضوعها نافع"(٢١).

معنى ذلك أن الذي يحدد صدق الفكرة أو حقيقتها هو تحقيق نتائجها أو آثارها Consequences في محيط التجربة الجزئية، فإذا كان التحقيق إيجابيا كانت الفكرة صادقة، وسيترتب على صدقها نتائج، منها أني سأستخدمها في تحقيق فكرة أخرى أو سأستخدمها في القيام بسلوك معين، وهذا هو معنى فائدتها أو منفعتها(٢٢).

وهنا يشير بعض الباحثين إلى أنه لمن الخطأ أن نأخذ فكرة المنفعة في نظرية جيمس بمعناها الضيق؛ لأنه كان يقصد المنفعة بالمعنى الواسع للمجتمع الإنساني ككل. إنه كان يرى أن طلب المعرفة منفعة، والفهم الدقيق لحقائق الكون منفعة، وغير ذلك(٢٣).

وفي هذا الصدد يشير الفرد. ج. آير إلى أن وليم جيمس في عرضه لهذه النظرية يضحي بدقة العرض على حساب قوته، وبالتالي قد ظلم نفسه بعرضه لبعض ملاحظات جعلته يبدو للبعض كأنه يوجد هوية بين الصدق (الحقيقة) أو المنفعة. هذه الأمور - فيما يرى آير- قد جعلت انتقاد نظريته أمرا سهلا، وجعلت نقادها كثيرين، فهي لم تكن بالبساطة التي بدت عليها(٢٤).

إلا أننا لا نوافق ألفرد آير على ذلك؛ لأن وليم جيمس كان صريحا في توحيده بين حقيقة الفكرة ومنفعتها، ودليلنا على ذلك هي نصوص وليم جيمس نفسه في كتابه "البراجماتزم" في أكثر من موضع، ففي المحاضرة الثانية بعنوان "معنى البراجماتية"، وقد سبق أن أشرنا إليها، ولا داعي للتكرار. كذلك يشير في المحاضرة السادسة من نفس الكتاب إلى ذلك في نص صريح بقوله:

"وفي وسعك أن تقول عنها (أي الفكرة) عندئذ أنها مفيدة أو نافعة، لأنها صحيحة، أو أنها صحيحة لأنها مفيدة، إن كلتا العبارتين تعنيان بالضبط نفس الشيء ألا وهو

أن لدينا فكرة قد تحققت، ويمكن تحقيقها وإقامة الدليل عليها"[٢٥].

كذلك يشير أ.م. بوشنسكي في كتابه "الفلسفة المعاصرة في أوربا" إلى أن وليم جيمس لم يقصد إشباع الحاجات المادية للفرد وحدها، بل يقصد كذلك كل ما يساهم في تألق حياة الإنسان والمجتمع. أي لا يقصد المنفعة الأنانية لفرد بعينه، بل يراعي الطابع الاجتماعي[٣٦]. إلا أن هذا القول وإن كان يخفف من غلواء المذهب البراجماتي عند وليم جيمس، ويعطي له بعض القيمة، إلا أننا لا نستطيع أن نقصر قبول الحقائق والأفكار الفلسفية والمعتقدات الدينية والأخلاقية على منفعتها، كما سوف نوضح بالتفصيل في خاتمة البحث.

هذا فيما يتعلق بالمنهج البراجماتي الذي طبقه وليم جيمس على الأفكار والقيم، بما في ذلك المعتقدات الدينية[٥] والمبادئ الأخلاقية.

وجهة نظر وليم جيمس التعددية في الكون وعلاقتها بالأخلاق

قبل البدء في عرض المشكلة الأخلاقية عند وليم جيمس، نود الإشارة إلى أن الطابع العام المميز لفلسفته هو أنها تجريبية متطرفة تريد أولا وقبل كل شيء أن تناهض سائر النزعات المثالية التي اعتمدت اعتمادا كبيرا على التفكير المجرد.

ولقد جاءت البراجماتية – كغيرها من الفلسفات الواقعية المعاصرة – ثورة ضد الفلسفة الألمانية المثالية Idealism التي كانت سائدة في إنجلترا وأمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخاصة فلسفة هيجل G. W. F. Hygel (١٧٧٠-١٨٣١م)، التي تتميز بالاعتماد على العقل دون سواه، وقد شاركه في هذه النزعة بعض الفلاسفة المثاليين الأمريكيين من أمثال جوزيارويس J. Royece (١٨٧٥-١٩١٦م)، والإنجليز من أمثال برادلي F. H. Bradley (١٨٤٦ – ١٩٢٤م)، وهم في هذا الصدد يذهبون إلى أن العقل وحده يمكنه أن يعرف الكثير عن العالم دون حاجة منا إلى الحواس، بل إن النظرة الفاحصة تبين أن ظواهر الكون كما تدركها الحواس تكون متناقضة، وإذن فلا بد أن تكون خادعة.

أي أن الكون في نظر المثالية يستحيل أن يكون محصورا في مكان أو محدودا بزمان معين، كما يستحيل أن يكون قوامه هذه الكثرة من الأشياء التي يرتبط بعضها ببعض بعلاقات، فالكون حقيقة واحدة مطلقة لا تجزؤ فيها ولا فواصل ولا حدود.

ولقد كانت البراجماتية – وعلى رأسها وليم جيمس- ثورة على هذا التصور للعالم، جاءت لتؤكد واقعية العالم بكل ما فيه من أشياء متكثرة ومتنوعة، وقبل العلاقات القائمة بين تلك الأشياء المتعددة[٢٧].

وهكذا يؤكد وليم جيمس وغيره من البراجماتيين مذهب التعدد أو الكثرة Pluralism ضد مذهب الوحدة Monism الذي قال به المثاليون.

فالعالم فيما يرى جيمس هو عبارة عن حقيقة مرنة غير مكتملة، يمكن وصفها بالتعدد والتغير والحركة المستمرة، أي أنه ليس مكونا بل في دور التكوين. إن وليم جيمس لا يرفض فقد المذاهب الواحدية التي تريد أن تفسر ظواهر الكون بالرجوع إلى مبدأ ميتافيزيقي واحد، بل يرفض أيضا تلك الفلسفات المطلقة التي تقول بالثبات أو بالجواهر الثابتة. أي أن العالم عبارة عن مجموعة من الجزئيات، فلا بد إذن من التعلق بالجزئي بدلا من الاقتصار على النظرة إلى الكليات، أي أن الفلسفة العملية تنظر إلى المشخص Concrete بدلا من أن تكتفي بالنظر إلى المجرد Abstract[٢٨].

وهذا ما يشير إليه وليم جيمس بقوله: "إن واحدية العالم قررت عادة على نحو مجرد فقط، وكما لو كان كل من يشك فيها أو يجادل في أمرها لا بد وأن يكون معتوها، لقد كان مزاج أصحاب المذهب الواحدي دائما في غاية الحدة والبطش والعنف بحيث إنه كان في بعض الأحيان قطعيا باتا ... أما المذهب التعددي فلا حاجة به إلى هذا المزاج التعسفي الصارم، فيشرط أن تسلم ببعض الفصل بين الأشياء، وببعض التعامل والحركة والتفاعل الحر بين الأجزاء، وبشيء من الجدة الحقيقية أو المصادفة مهما تكن ضئيلة، فالمذهب التعددي راض قانع جدا، وسيسمح لك بأي مقدار مهما يكن عظيما من الاتحاد الحقيقي. أما أن يبلغ مقدار الاتحاد، فهذه مسألة ترى التعددية، أنها لا يمكن البت فيها إلا تجريبيا"[٢٩].

وأخيرا يختم وليم جيمس هذا الجزء بقوله: "ومن الجلي أن البراجماتية يجب أن تدير ظهرها للواحدية المطلقة، وتولي وجهها شطر طريق التعددية الأكثر تجريبية"[٣٠].

هذا فيما يتعلق بثورة وليم جيمس على المذاهب المثالية والواحدية المطلقة، ودفاعه عن التعددية والكثرة ... والآن نتساءل: ما علاقة وجهة نظر جيمس في القول بمذهب الكثرة بحرية الإرادة؟ وما علاقة كل ذلك بالأخلاق النسبية عنده؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، يمكن القول:

إن وليم جيمس يؤمن بأن الإنسان له حرية الاختيار في أفعاله، وليس مجبرا عليها، ونظريته في الحرية أساسية لإقامة أجزاء كثيرة في فلسفته، فلا يقوم مذهب التعدد القائم على الإمكان إلا إذا توفرت حرية الإنسان. وحيث إن وليم جيمس يتصور العالم على أنه واقعة مرنة لا تسكن عن التغير والتشكل والتجدد، فإن الحرية نفسها لتبدو هنا بمثابة صورة من صور الجدة والأصالة التي تميز ذلك العالم المتكثر.

وعلاوة على ذلك فإن معاني الصيرورة والتغير والجدة والصدفة والحرية هي من المعاني المتلازمة، التي لا تكاد تنفصل عن المذهب التعددي[٣١].

إن القول بالتعددية يستلزم بالضرورة الأخذ بفكرة انعدام الحتمية Ideterminism فالحرية عند جيمس هي جدة وصدفة، كما أنها اختيار بين ممكنات محضة، والعالم الذي يتصوره جيمس هو عالم واقعي فيه موضع للممكنات، ولكن إذا كانت الجدة هي عبارة عن إمكانية حقيقية هذا العالم، فذلك لأن الكون المتكثر هو الذي لا يتلاءم وحده مع القول بنشاط أخلاقي إرادي. وفي هذا الصدد يذهب وليم جيمس إلى أن اللاحتمية هي الوسيلة لتحطيم هذا الكون إلى أجزاء خيرة وأجزاء شريرة تمهيدا لمناصرة الأولى ضد الثانية[٣٢].

يرى جيمس أنه إذا كان الكون ليس مجرد دائرة مغلقة أو وحدة المطلقة، بل مجموعة من الموضوعات اللامتجانسة تطفو على سطح محيط من الممكنات على حد تصويره، ذلك لأن ثمة إرادة حرة (سلطان) تنتظر دائما من المستقبل ألا يكون مجرد ترديد للماضي، ومعنى هذا أن العالم لا ينطوي على اطراد مطلق، بل هو قابل لجدة مستمرة مبعثها إرادتنا الحرة[٣٣].

وفي هذا الصدد يقول وليم جيمس:

"إن الإرادة الحرة، براجماتيا، تعني مستحدثات في العالم، تعني الحق في توقع المستقبل في أعمق عناصره، وكذلك في مظاهره السطحية لا يكرر الماضي ولا يقلده مماثلة وتجانسا وتطابقا"[٣٤].

وفي هذا الصدد يرى بعض الباحثين أن فلسفة وليم جيمس التعددية ترتبط بالأخلاق، وذلك لارتباطها بالاحتمالات، أي الاختيار، وهذا يعني تحمل الإنسان للمسئولية كاملة دون الارتكاز على الأمان والراحة، نتيجة اعتمادها على قوة عليا، ويؤدي هذا بالطبع إلى موقف أكثر اتساقا مع كونه أخلاقيا، وذلك نتيجة لتحمل الإنسان ما يقوم

به من أفعال، وهذا الاختيار لدى جيمس لا يتنافر والتجربة، بل بالعكس يتفق معها ويؤكدها، وفي هذا الصدد يذهب وليم جيمس إلى أن المجال الحقيقي للاختيار البراجماي يتحول إلى مجال أخلاقي وشخصي (٣٥).

وهكذا يتضح لنا مدى اتساق نظرية وليم جيمس في التعددية أو الكثرة مع قوله بحرية الإرادة، وأيضا مع قوله بالأخلاق النسبية، ورفضه للأخلاق المطلقة المكتملة. إنه يرى أن الحياة الأخلاقية في نمو متصل، ولا ينبغي للمرء أن يحصرها في مذهب مغلق، فلا يمكن أن تكتمل الأخلاق إلا حين تنتهي آخر تجربة لآخر إنسان في الكون (٣٦).

هذا فيما يتعلق بوجهة نظر وليم جيمس التعددية في الكون وعلاقتها بالأخلاق. أما فيما يتعلق بعلاقة القيم بما في ذلك القيم الأخلاقية بنظرية الصدق أو الحقيقة عند وليم جيمس، فيمكن القول:

يصدر موقف الفلاسفة البراجماتية – وعلى رأسهم وليم جيمس من القيمة (بما في ذلك القيم الأخلاقية) عن موقفهم من الحقيقة أو الصدق Truth صدورا مباشرا، وهذا ما يتضح لنا في تناوله للمشكلة الأخلاقية.

وقبل البدء في تناول أهم آراء وليم جيمس في الأخلاق، وبيان مدى نسبيتها، نود الإشارة في هذا الصدد إلى المثالية Idealism والواقعية Realism شريكتان في نظر وليم جيمس، في تقليد واحد وهو الارتداد بالحقيقة إلى أصل سابق تتسق معه، أو تتطابق معه، وهنا يكون معيار صدق الفكرة أو حقيقتها، وهذا ما تنكره البراجماتية، ما معنى ذلك؟ معناه أن الحقيقة لم تعد في نظر البراجماتيين مودعة أو قابعة في الذهن، وعلينا استخراجها أو اكتشافها، بل هي ما تسفر عنه نتائج أفكارنا في المستقبل، وهي نتائج ذات طابع عملي، وهذا ما ينطبق على سائر مواقفهم من مشكلات الفلسفة، ومنها نظرية القيمة (٣٧).

لقد صدر موقف الفلاسفة البراجماتيين من الأخلاق وفقا لموقفهم، الذي سبق أن أوضحناه في أثناء كلام وليم جيمس عن الحقيقة، فمقياس الحقيقة يقوم في مدى نفعها في دنيا الواقع العملي، ومن هنا وجب تسخير العقل في تيسير حياة الإنسان، وإشباع رغباته، ووجب ألا يشغل نفسه بالبحث في حقائق الأشياء وطبائع الموجودات إلا متى حقق نفعا، بل أوجب البراجماتيون على الإنسان أن يهتم بوضع الخطط التي تمكننا من السيطرة على الأشياء، وتسخيرها لصالح الإنسان. ومن هنا كان معيار الصواب هو

للمنفعة أو العمل المنتج، وليس حكم العقل النظري[٣٨].

وأقوال وليم جيمس عديدة في هذا الصدد، نذكر منها:

"إن حيازة الحقيقة أبعد ما تكون هنا عن كونها غاية في ذاتها، لا تزيد عن كونها وسيلة، أو أداة أولية لبلوغ ضروب أخرى من الإشباع والرضا والسرور والحيوية"[٣٩].

كذلك يشير وليم جيمس في موضع آخر من نفس المحاضرة مؤكداً وجهة نظره السابقة بقوله:

"ومن ثم، فإن القيمة العملية للأفكار الصحيحة، مشتق بصفة أولية من الأهمية العملية لموضوعاتها بالنسبة لنا ... وفي وسعك أن تقول عنها (أي الأفكار) أنها مفيدة، لأنها صحيحة أو أنها صحيحة لأنها مفيدة"[٤٠].

ومن هنا يتضح لنا أن الفكرة الصحيحة أو الصادقة عند وليم جيمس وغيره من البراجماتيين هي التي تعمل بنجاح في تجاربنا بالحياة العملية، فالحق ليس إلا مجرد حادث Event يعرض للفكرة، فتصبح صحيحة بما تحققه من عمل، وشاهد الصدق فيها قدرتها على تمكين الإنسان من السيطرة على الأشياء، ومحك الصواب والخطأ هو كما سبق القول- القيمة النصرفة Cash-Value في دنيا الواقع[٤١]، وهذا ما يعبر عنه وليم جيمس بقوله:

"بيد أنك إذا اتبعت الطريقة البراجماتية فإنك لا تستطيع أن تحسب أيا من هذه الأسماء (أو الألفاظ)، على اعتبار أنها نهاية مطاف استطلاعك وسعيك، إذ يتعين عليك أن تخرج من كل كلمة قيمتها النقدية الفورية العملية، وأن تمرسها على العمل بإظهار كيفيتها في نطاق مجرى خبرتك، وعندئذ فهي لا تبدو حلا بقدر ما تبدو برنامجا أو منهاجا للمزيد من العمل"[٤٢].

وهكذا يتضح لنا أن مقياس الخير والشر في مجال الأخلاق هو نفسه مقياس الحق والباطل في مجال المعرفة، وهو منفعة الإنسان، وهذا ما يتضح لنا في قول وليم جيمس نفسه: "ومن ثم فإن "الحقيقي" باختصار جدا ليس سوى المطلوب "النافع" الموافق في سبيل تفكيرنا، تماما مثلما أن "الصحيح" ليس سوى المطلوب "النافع" الموافق في سبيل سلوكنا"[٤٣].

لقد اتفق الفلاسفة العمليون مع السوفسطائيين في رد القيم إلى الإنسان، ولكنهم خالفوا السوفسطائيين في جعل الإنسان بوجه عام – وليس الفرد- هو معيار القيم، أي أنهم

كانوا يقصدون التجربة الإنسانية، التي تصطبغ في نهاية الأمر بطابع اجتماعي[٤٤].

إن الخير في نظر البراجماتيين هو الحل الموفق لكل ما يحقق التقدم الاجتماعي، وهو الذي يسهم في حل مشكلة تواجه الإنسان. والقيم بمختلف صورها خلقية أو جمالية أو منطقية تعد في نظر هؤلاء الفلاسفة نسبية Relative تتوقف على الأغراض التي تستهدفها، أي أنها مجرد وسائل لتحقيق غايات هي الخيرات أو المنافع بوجه عام[٤٥]. وهذا ما سوف يتضح لنا عند وليم جيمس بوجه خاص.

لم يهتم وليم جيمس بفلسفة الأخلاق اهتمامه بالمنهج الفلسفي أو بنظرية الصدق (الحقيقة) أو غيرها، وإنما نجد لها آراء متفرقة في الأخلاق، منبثة في ثنايا مختلف آرائه الأخرى، أي في أبحاثه الدينية، وفي نظريته للصدق (الحقيقة)، وفي نظريته التعددية للكون، وغيرها باستثناء المقالة التي يتضمنها كتابه "إرادة الاعتقاد" في الفصل الخامس بعنوان "فلسفة الأخلاق والحياة الخلقية" "The moral philosophy and the moral life".

والآن لكي يتضح لنا معالم هذا الاتجاه النسبي في الأخلاق عن فيلسوفنا، لا بد من التعرض للنقاط الآتية:

١. الإلزام الخلقي.
٢. المفهوم النسبي للخير.
٣. رفض وإنكار وليم جيمس للأخلاق المطلقة.

أولاً: الإلزام الخلقي Moral Obligation:

لم يكن اعتزاز وليم جيمس بالإنسان في هذا العالم، وإنشاده دوراً فعالاً له لتدعيم نظريته التعددية فقط، بل لأنه قد اندهش لما هو موجود في العالم من شرور تحطم أماني الإنسان، وتبدد أحلامه، فواجبنا إذن الإصلاح والتقويم من أجل حياة سعيدة مزدهرة. ونحن نعمل – فيما يرى جيمس – على تشكيل العالم، وسيظل العالم دائماً في دور التشكيل والتقويم في مرحلة التبديل والتعديل، بينما عالم الواحدية ثابت لا يتغير[٤٦].

ويعتقد جيمس أن هذا العالم إذا استجاب لجميع مطالبنا، وأرضى جميع حاجاتنا، ولم يعد بعد ذلك شيء نرغب فيه، لما كان لنا أن نعارض على أن يكون العالم موضوع ضرورة مطلقة غاية الإطلاق، ولما كان لنا الحق في حرية نمارسها من أجل سعادتنا،

ولكن الأمر يختلف في هذا العالم الذي نمارس فيه فعلا تجربة الحياة. فمن الواضح أنه لو كان الماضي والحاضر يرضينا كل الرضا لما رغبنا في مستقبل يختلف عنهما، ومن الأكيد أننا سنستشعر حاجتنا إلى التعديل والإصلاح؛ لأن العالم القائم قد خيب ظنوننا؛ لأنه يجعلنا نهوي في هوة الأسى، ونغرق في بحر الألم. وحيث إن لدينا إحساسا، فإن في وسعنا أن نسهم في هذا الإصلاح ولدينا أمل في النجاح، فإن هذا يؤدي إلى النشاط الذي نمارسه ككائنات عقلية لها أهدافها الإنسانية، ولها غاياتها الأخلاقية[٤٧].

يعلن وليم جيمس أن العالم يمكن أن يكون أفضل مما هو عليه، وأن خلاصه ممكن، وليس هذا الإمكان إمكانا تصوريا مجردا فحسب، بحيث لا يعنينا إلا قليلا، بل هو إمكان واقعي عملي، وتضمن هذا الإمكان واقعتين:

أولا: أننا متأهبون بما اجتمع لدينا من مثل عليا للنضال من أجل تحقيقها، ويقتضينا هذا أن نتدخل تدخلا فعالا في مصير العالم.

ثانيا: أن هذا العالم ليس كتلة نهائية صارمة، وإنما هو جماع من عناصر مستقلة، بحيث لا يمنعنا مانع من أن نعزل جانبا ما يراءى لنا شرا، ونمحو من أمامنا ما نتوجس منه ضررا، وأملنا من هذا كله أن يختفي كل شر من ذلك العالم النهائي، الذي نناضل من أجله[٤٨].

إن الأخلاق إذن أخلاق كفاح ونضال، والتجربة تظهر لنا الدور الذي يجب على الإنسان أداؤه في هذه الحياة، إنه لا يمكن أن يكون دور المشاهد السلبي في عالم لا يملك إزاءه أن يفعل شيئا، وإنما دوره الأمل أن يثبت وجوده ويعزز كيانه في عالم معقد متشابك، تتصارع فيه قوى متعددة متباينة، وعلى الإنسان أن يجاهد ليفرض مثله العليا(*) في هذا العالم[٤٩].

هذا ويتضح لنا رأي وليم جيمس في الإلزام الخلقي في الفصل الخامس من كتابه الشهير "إرادة الاعتقاد" The Will to believe؛ حيث يشير إلى أن مصدر الإلزام الخلقي هو الإنسان نفسه في مجتمع معين، وفي زمان معين ومكان معين، ولا معنى للكلام عن "إلزام خلقي" أو "خير" Good أو "شر" Evil أو غيرها من المفاهيم الأخلاقية، إلا في عالم به كائنات بشرية. وهذا ما يعبر عنه بقوله:

"لا معنى لقيام علم الأخلاق في عالم ليس به موجودات إنسانية، أو حياة إنسانية Sentient Life، تخيل أن هناك عالما ماديا عاديا يحتوي فقط على وقائع فيزيقية

ومركبات كيميائية، هذه الوقائع الفيزيقية نقول عنها ببساطة تكون أو لا تكون، وبعبارة أخرى موجودة أو غير موجودة are or not are، وسواء أكانت موجودة أو غير موجودة، لا يفترض أن يكون لها متطلبات، ولا يمكننا أن نقول إن جسمًا ماديًا أكثر خيرًا من جسم مادي آخر؛ حيث إن الأفضلية ليست علاقة فيزيقية، ومن ثم فإن الأشياء المادية نقول عنها فقط إنها سارة أو مؤلمة[٥٠].

ثم يستطرد قائلًا:

"إن الخير Goodness والشر Badness والإلزام Obligation لا توجد إلا في عالم به كائنات بشرية Sentient Beings، فلا يمكن للعلاقات الأخلاقية Moral Relations أن توجد أو للقوانين الأخلاقية Moral Laws أن توجد في فراغ، بل مجالها هو الموجود البشري أو العاقل الذي يشعر بها، وليس مجرد عالم يتكون من وقائع فيزيقية"[٥١].

كذلك يذهب وليم جيمس مؤيدًا الاتجاه النسبي في الأخلاق إلى أكثر من ذلك، حيث ينكر ويرفض وجود الأخلاق المطلقة التي تتضمن المثل والقيم العليا والقواعد والإرشادات عن الفضائل والفضيلة، وترك الرذيلة، ويرى أن تلقي الإنسان لمثل هذه القواعد الخالدة، والقوانين الثابتة، لا معنى له ولا دلالة؛ لأن مصدر الأخلاق هو الإنسان في زمان معين ومكان معين.

إن للإنسان مكانة مهمة وخاصة في فلسفة وليم جيمس؛ حيث إنه الكائن الوحيد القادر على تقرير مصيره، وهذا بدوره يعني أن المستقبل يسيطر عليه الغموض، ولا يعلم أحد عنه شيئًا، ويعني ذلك تحمل الإنسان لنتائج أفعاله؛ لأنه المسئول عما يحدث في الكون، وذلك خلافًا لموقف أصحاب المذاهب المطلقة، الذي يعني – فيما يرى وليم جيمس – أنه موقف لا أخلاقي في نظرته للمستقبل، وذلك لعدم تأييدهم للاحتمالات في الكون، وبالتالي يعد قضاءً على التحفز لدى الإنسان. وفي هذا يذهب وليم جيمس إلى أن النقطة المهمة هنا هي أن الاحتمالات Possibilities موجودة فعلًا، وسواء كنا نحن الذين نحسمها أو هو الذي يحسمها من خلالنا في تلك اللحظات من المحاولات النفسية، عندما يبدو ميزان القدر متأرجحًا وعندما ينتزع النصر من الشر، وهذا ما يعطي لحياتنا الأخلاقية حقيقة نابضة"[٥٢].

وفي هذا الصدد يقول:

"طالما يشعر الإنسان بأن هذا الشيء خيّر فهو خيّر. إن الخير خير بالنسبة له، والشر شر بالقياس إليه أيضاً؛ لأنه الخالق الوحيد للقيم The Sole Creator of Values في هذا الكون، وبعيداً عن رأيه، فإن الأشياء لا يكون لها أي سمة أخلاقية بالمرة"(٥٣).

وهكذا يتضح لنا من هذا النص وغيره من النصوص السابقة أن مصدر الإلزام الخلقي عند وليم جيمس هو الإنسان في مجتمع معين، وفي زمان معين، ومكان معين، الإنسان عند هذا الفيلسوف هو صانع القيم، وهو يضع المقاييس والمعايير الخلقية، وبالتالي فالقيم هنا تكون نسبية متغيرة وفقاً للظروف والأحوال، وليست ثابتة مطلقة.

ثانياً: المفهوم النسبي للخير عند وليم جيمس:

لقد سار وليم جيمس - كما سبق القول - في نفس طريق أستاذه تشارلس بيرس Ch. S. Peirce (١٨٣٩-١٩١٤م) المؤسس الأول للبراجماتية الذي أشار إلى معنى الفكرة يتوقف على آثارها العملية في حياة الإنسان. وكل فكرة لا تتحول عند صاحبها إلى سلوك ناجح في دنيا الواقع فهي باطلة، ومثل هذا ينطبق أيضاً على المعتقدات الدينية والمفاهيم الأخلاقية.

ولكن إذا كان كل من بيرس وجيمس يركز على النتائج العملية التي تترتب على الفكرة أو المعتقد، فإن هناك اختلافاً مهماً بينهما، وهذا الاختلاف يميز فيما يرى أحد الباحثين - بين عقليتين، عقلية العالم الكيميائي بيرس، الذي لا يعتقد إلا فيما تظهره التجربة من نتائج مباشرة، كما يحدث في التجارب المباشرة في المعمل، وعقلية عالم النفس وليم جيمس، الذي لا يحصر نفسه في نطاق النتائج المباشرة، بل يفتح المجال أيضاً للنتائج غير المباشرة كأساس لقبول صحة الفكرة.

ولقد استخدم وليم جيمس لفظ "النتائج" بمعنيين:

أ. في المعنى الأول يكون معنى القضية بمثابة نتائجها المباشرة التي يمكن التحقق منها عن طريق التجربة.

ب. وفي المعنى الثاني لكلمة "نتائج" يكون معنى القضية النتائج غير المباشرة التي تترتب عليها، وفي هذه الحالة لا تكون القضية ذاتها نتائج موضوعية مباشرة نتحقق منها عن طريق التجربة، بل يكون للاعتقاد بفكرة أو قضية مباشرة عن

طريق التجربة الفعلية ما إذا كان الله (ﷻ) موجوداً أم غير موجود[٥٤].

وهكذا يتوسع جيمس في معنى النتائج، بحيث يدخل في نطاقها القضايا الميتافيزيقية، وعلى رأسها القضايا الدينية، وكذلك القيم والمبادئ الأخلاقية[*].

إن الفكرة أو المعتقد عند وليم جيمس لا يطلب لذاته – كما سبق القول وإنما يطلب لترقية حياتنا، وتحقيق أغراضنا، فالحق أو الخير كالساعة المطروحة في السوق، قيمتها يحددها الثمن الذي يدفع فيها فعلاً، أي هو القيمة Practical Cash-Value. وعندما نقول إن هناك حقائق فهذا يعني أن هناك أفكاراً عملية ناجحة Concrete Successful Actions[٥٥].

هذا وقد أكد وليم جيمس في كتابه "إرادة الاعتقاد" الفصل الخامس:

"إن الخير يقوم في إشباع مطالب الإنسان وتحقيق رغباته، وتحقيق الخير إنما يكون في تجربة من تجاربنا في الحياة، وكثيراً ما نضطر إلى إتيان أفعال دون أن يكون لدينا مبرر عقلي للقيام بها، كذلك قد نتوقف عن عمل أو نتجنبه دون أن يكون لدينا سبب نظري لذلك التوقف، معنى هذا أن من حقنا – كما يرى وليم جيمس أن نعتنق مبدأ خلقياً أو معتقداً دينياً لا يحملنا على اعتناقه تفكيرنا النظري المجرد، بل تدعونا إلى اعتناقه مطالب الحياة ومقتضياتها[٥٦].

وهكذا يتضح لنا أن الفعل يكون خيراً في نظر وليم جيمس متى تحول عند صاحبه إلى سلوك ناجح أو نافع في حياته، وخيريته Goodness تتوقف على تقدير صاحبه، وهذا ما يعبر عنه بقوله:

"إن نفس الموضوع يكون خيراً أو شراً وفقاً لتقديرك أنت له"

"The same object is good or bad there, according as you measure it"[٥٧].

كذلك يشير وليم جيمس في موضوع آخر من نفس الكتاب مؤكداً نسبية الخير والشر أو بعبارة أدق نسبية القيم الأخلاقية بوجه عام قائلاً:

"والآن قد علمنا أيضاً أن الكلمات "خير" Good و"شر" Bad و"التزام" Obligation ماذا تعني ... إنها لا تعني مصطلحات ذات طبيعة مطلقة No Absolute Nature بل إنها موضوعات للرغبة والشعور Objects of feeling and desire"[٥٨].

من هذا النص وغيره من النصوص سالفة الذكر يتضح لنا الاتجاه النسبي عند وليم جيمس (نسبية الخير والشر، الالتزام وغيرها من القيم ...). فالخير وفقا لما يراه (أ) أو (ب) من الأشخاص، أي وفقا لتقدير كل شخص وظروفه وأحواله.

كذلك يذهب وليم جيمس إلى أن الفعل الفاضل هو الذي يشبع عند صاحبه رغبة أو يحقق له منفعة، وبمقدار ما تكون هذه النتيجة يكون مقدار حظه من الخير. هذه هي قاعدة الخير عند الفرد، وهي نفسها معيار الخير عند الجماعة، فالمثل الأعلى هو الذي يشبع أكبر قدر من الرغبات للإنسان، والأمر هنا متروك لتقدير كل الفرد، إذ ليس من شأن الفلسفة الخلقية أن تقدم للناس المواعظ والإرشادات التي تصلح لكل إنسان[٥٩].

مما سبق يتضح لنا أن مقياس النجاح في الحياة العملية، الذي جعله وليم جيمس مقياس "الحق" هو نفسه معيار الأخلاق أو الخير، فالذي يجعل الفعل فاضلا هو أنه فعل ناجح أو نافع. وإذا استعرضت مختلف المواقف التي يقول عنها الناس إنها من الفضيلة أو من الرذيلة، ألفيت فيها جميعا عاملا مشتركا هو وجود الإنسان الذي يعي بشعوره بما في الموقف المعين من قيم خلقية خيرا أو شرا، ولو خلا العالم من الشر لبقي العالم غير موصوف بالخير أو بالشر، ومنا نطلق على هذا الكون المفترض أن به عزلة أخلاقية Moral Solitude[٦٠].

ولكن ما أساس المفاضلة بين الأفعال الخيرة عند وليم جيمس؟

يشير وليم جيمس إلى أنه لا أساس للمفاضلة بين الأفعال إلا بمقدار ما يحققه من رغبات أو متطلبات، فالأفضل هو الأكثر إشباعا ...

ثم يعرف الخير قائلا:

"ومن ثم هذا يقود حتما إلى قاعدة عامة وهي أن ماهية الخير ببساطة هي ما يشبع المتطلبات The essence of good is simply to satisfy demands"[٦١].

وفي هذا الصدد يشير أحد الباحثين إلى أن وليم جيمس قد وصل إلى طريق مسدود في تعريفه للخير؛ ففي عالم به عديد من الأشخاص، وكل شخص له مثله المفضلة Private Ideals لا نستطيع أن نقدم إجابة عامة أو محددة على السؤال القائل:

ماذا يسمى الخير؟ أو ما الأشياء الخيرة؟ لأننا لا نستطيع أن نحكم على شيء بأنه خيرا أو صواب إلا ما يشعر به هذا الشخص أو ذاك أنه خير أو صواب[٦٢].

وهكذا يتضح لنا امتناع وجود مثل عليا عامة أو مبادئ خلقية مطلقة تصلح لكل زمان ومكان كما يقول أصحاب المذاهب المثالية من الأخلاقيين، إلا أن هذا لا يمنع من القول بأن البراجماتيين وعلى رأسهم وليم جيمس قد أقروا قاعدة عامة لجميع الناس، وهي أن معيار "الحق" ومقياس "الخير" وغيره من القيم هو الفكرة أو المبدأ يكون "حقاً" أو "خيراً" متى تحول عند صاحبه إلى سلوك ناجح.

ثالثاً رفض وليم جيمس وإنكاره للأخلاق المطلقة Absolute:

حيث إن مصدر الإلزام الخلقي عند هذا الفيلسوف هو الإنسان، فالخير خير بالنسبة له، والشر شر بالقياس إليه أيضاً، فالمقياس أو المعيار هنا نسبي Relative وليس مطلقاً، ومن ثم نجد وليم جيمس يرفض رفضاً قاطعاً الأخلاق المطلقة، وينكرها، ويرى أن مادة بحث الفيلسوف الأخلاقي Ethical Philosopher ليس المثل العليا والقيم المطلقة، بل هي المثل المتحققة في هذا العالم، والتجارب الفعلية التي يعانيها الأفراد ويقومون بها، وما يشعرون به أنه صواب فهو صواب، وما يشعرون أنه خطأ فهو خطأ.(٦٣)

لم يعبأ وليم جيمس بتحديد المثل العليا التي تدعونا للجهاد من أجل تحقيقها، وإنما ترك لكل فرد أن يفهم هذه المثل على قدر استطاعته، واكتفى هو بالتوجيه فحسب، فهو لم يهتم بوضع مبادئ عامة لنظرية أخلاقية لها بداية محددة ونهاية واضحة، كما ذهب إلى ذلك أصحاب المذاهب الأخلاقية الأخرى، فهذا يتنافى مع طبيعة فلسفته القائمة على الحياة والعمل(٦٤).

يرى وليم جيمس أن طبيعة الحياة عمل متصل وكفاح مستمر، وتجدد لا ينقطع، وتطور لا يحده حد. ومن ثم لا يمكن أن تكون هناك أخلاق مكتملة، كما لا يمكن أن يكون هناك عالم مكتمل، ولا يمكن أن تكتمل الأخلاق إلا حين أن تنتهي آخر تجربة لآخر إنسان؛ إن الحياة الأخلاقية في نمو متصل، ولا ينبغي للفرد أن يحاول حصرها في مذهب مغلق(٦٥).

وما نود الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن قول وليم جيمس بأنه لا توجد أخلاق مكتملة، وأن الحياة الأخلاقية في نمو متصل، ولا ينبغي للمرء أن يحصرها في مذهب مغلق، هذا القول يتسق تمام الاتساق مع وجهة نظره التعددية في الكون، كما سبق القول.

وعلاوة على ما سبق ذكره – في رفض وليم جيمس وإنكاره للاتجاه المطلق في الأخلاق، يذهب هذا الفيلسوف مؤيدًا الاتجاه النسبي إلى أنه ليس في وسع الإنسان أن يصف السلوك الإنساني وصفًا مطلقًا عامًا، وذلك لأن كل حالة أخلاقية واقعة عملية لها ظرافتها، ولها طابعها الذي تنفرد به، وهي تتحدى كل القيود التي تضعها نظرية من النظريات، والإنسان من حيث هو فرد أخلاقي يجب أن يحكم ويفعل وفقًا لرأيه الخاص.

لم يشأ جيمس بالطبع أن يدين محاولات الفلاسفة لوضع مذاهب أخلاقية، ولكنه لم يثق بمثل هذه المحاولات خشية أن يغالي أصحابها في قيمتها المعيارية، ويبالغوا في سلطانها الإلزامي، فتغدو عقبة تحول دون نمو الحياة الأخلاقية نموًا حرًا وتطورها تطورًا طليقًا[٦٦].

إن الفلسفة الواحدية ترى أن هنالك أخلاقًا سامية، أخلاقًا أبدية كاملة عن "المطلق"، الذي يعرف كل الرغبات الممكنة، وهو من ثم يمكن تصنيفها تبعًا لأهميتها. بيد أننا لا نعلم فيما يرى وليم جيمس على وجه التحديد شيئًا عن أسرار هذه التعاليم الأخلاقية، فمن الخير لكل فرد أن يعتمد على حدسه الشخصي في مسائل السلوك الأخلاقي، وهذا الحدس معياره الأصيل فيما يتخذه من قرارات، وما يقدم من تصرفات[٦٧].

وفي هذا الصدد يقول، من نفس المقالة سالفة الذكر:

"إن المثل العليا المختلفة Ideals لا تتضمن أي سمة عامة أو كلية، ولا يوجد هناك أي مبدأ مجرد Abstract Principle يمكن أن يستخدمه الفيلسوف كمعيار أو كمقياس"[٦٨].

ومعنى ذلك أنه لا توجد هناك حقيقة موضوعية Objective حول الأحكام الخلقية، بل يوجد فقط جهد من الآراء الشخصية أو الذاتية Subjective Openions، ومن ثم فإن العقول الفردية هي التي تمثل المقاييس أو المعايير وعلى هذا الأساس فإن مادة بحث الفيلسوف الأخلاقي هي – فيما يرى وليم جيمس- المثل المتحققة في هذا العالم[٦٩].

وهكذا ينتهي وليم جيمس إلى أن الحسن هو ما رأى معظم الناس أنه كذلك، والقبح هو ما ينكره الإجماع، والقانون المعياري هو ما يعتقده الرأي العام، ومن الحماقة أن يحاول كثير منا التجديد في الأخلاق، بل ينبغي أن نتمسك بالحسن والقبح في عرف المجتمع[٧٠].

وهكذا يتضح لنا من خلال النصوص السابقة رفض وليم جيمس وإنكاره للأخلاق المطلقة، وتأييده للأخلاق النسبية، وتأكيده أن تكون القيم الأخلاقية والمقاييس أيضا نابعة من تجارب الأفراد أنفسهم.

الخاتمة:

يمكننا في ضوء العرض السابق للمشكلة الأخلاقية عند وليم جيمس أن نشير إلى ما يأتي:

أولاً- تبين من خلال هذا البحث أن الفلسفة البراجماتية كانت – كغيرها من الفلسفات الواقعية المعاصرة- ثورة على الفلسفات المثالية الألمانية التي صورت العالم حقيقة واحدة مطلقة، ولقد جاءت البراجماتية لتؤكد واقعية العالم بما فيه من أشياء متكثرة ومتنوعة ... وهكذا أكد وليم جيمس مذهب الكثرة أو التعدد ضد مذهب الوحدة الذي قال به المثاليون.

ثانياً- مدى اتساق وجهة نظر وليم جيمس التعددية في الكون باعتباره حقيقة مرنة غير مكتملة توصف بالتعدد والتغير والحركة المستمرة تتسق مع وجهة نظره في الأخلاق باعتبارها غير مكتملة، وفي حالة نمو متصل، حيث إن الحياة الأخلاقية عند جيمس في حالة نمو متصل، ولا ينبغي حصرها في مذهب مغلق، ولا يمكن أن تكتمل الأخلاق – فيما يرى- إلا حين أن تنتهي آخر تجربة لآخر إنسان في الكون.

ثالثاً- إن وليم جيمس قد طبق منهجه البراجماتي على جميع الأفكار الفلسفية، حيث إن المحك النهائي لاختبار صحة أي فكرة (أو معتقد) هو ما يترتب على تلك الفكرة من نتائج نافعة في الحياة العملية، وهو نفس المنهج الذي نادى بتطبيقه جيمس أيضا على المعتقدات الدينية والمبادئ الأخلاقية: إذ أن مقياس الحق والباطل في مجال المعرفة هو نفسه معيار الصواب والخطأ، أو الخير والشر في مجال الأخلاق، وهو المنفعة العملية أو القيمة الفورية لتلك الفكرة أو هذا المعتقد.

رابعاً- إن مصدر الإلزام الخلقي عند وليم جيمس هو الإنسان في مجتمع معين وفي زمان معين وفي مكان معين، فالخير خير بالنسبة له، والشر شر بالقياس إليه أيضا. إن الإنسان عند هذا الفيلسوف هو صانع القيم، وهو الذي يضع المقاييس والمعايير الخلقية، ومن ثم يرفض وينكر وجود الأخلاق المطلقة التي تتضمن المثل والقيم العليا، والقواعد والإرشادات عن الفضائل وترك الرذيلة، ويرى أن تلقي

الإنسان لمثل هذه القواعد الخالدة والقوانين الثابتة لا معنى له ولا دلالة؛ لأن القيم تنبت تلقائيًا في حياة الإنسان في المجتمع.

خامسًا: يتجه وليم جيمس اتجاهًا نسبيًا واضحًا في تعريفه للخير، حيث إن الخير عنده يقوم في إشباع مطالب الإنسان، وتحقيق رغباته، وتحقيق الخير إنما يكون في تجربة من تجاربنا العملية، وكثيرًا ما نضطر إلى إتيان أفعال دون أن يكون لدينا مبرر عقلي لذلك، كذلك نتوقف عن عمل أو نتجنبه دون أن يكون لدينا سبب نظري لذلك التوقف، أي أن الفعل يكون خيرًا متى تحول عند صاحبه إلى سلوك ناجح أو نافع، وينتهي وليم جيمس إلى قاعدة عامة في هذا الصدد، وهي أن ماهية الخير ببساطة هي ما يشبع التطلبات.

سادسًا: يرفض وليم جيمس رفضًا قاطعًا الأخلاق الكلية المطلقة وينكرها، ويرى - كما سبق القول- أن تلقي الإنسان لمثل هذه القواعد الخالدة والقوانين الثابتة لا معنى له ولا دلالة، ويرى أن مادة بحث الفيلسوف الأخلاقي ليست المثل العليا والقيم المطلقة، بل القيم المتحققة في هذا العالم والتجارب الفعلية، التي يعانيها الأفراد ويقومون بها.

وهكذا ينتهي وليم جيمس إلى تأكيد الاتجاه النسبي في الأخلاق، ورفض الاتجاه المطلق. هذا فيما يتعلق بالجوانب الرئيسية التي تضمنها البحث.

<u>أما فيما يتعلق بتحقيبنا النقدي على هذه الفلسفة العملية، فيمكن القول:</u>

إن من أهم مزايا هذا المذهب البراجماتي عند وليم جيمس وغيره أنه قد عمل على تقويض تلك المذاهب المثالية المطلقة التي أرادت أن تضخع الواقع بخصبه وثرائه وجدته لطائفة من المبادئ العقلية الجامدة. فمن أفضال هذا المذهب أنه قد أظهرنا بوضوح على الطابع الإنساني للحقيقة، فبين لنا بذلك أنه ليس ثمة وقائع (حقائق) مطلقة تامة الصنع منذ الأزل، بل هناك وقائع مرنة يساهم الفكر البشري في استحداثها[٧١].

ومن ثم قد يكون من مزايا البراجماتية نظرتها الواقعية الملحوظة، حيث قررت على لسان أشهر أعلامها أن الحقيقة التي يمكننا بلوغها ليس أكثر من حقائق إنسانية يجوز عليها الخطأ أو التغيير، شأنها في ذلك شأن كل شيء إنساني. وبذلك فإن آراءها تجعل من الناس قومًا نشيطين من أجل الخير، عمليين في نظرتهم للأمور، مصممين على تغيير الأمور لا على تحملها، أي أنها تساعد الناس على العيش بقوة وتفاؤل، وهي - كما

وصفها البعض. فلسفة تقدم تعمل على إقامة الفاعلية الأصلية للإرادة الإنسانية، وتقف إلى جانب التحقيق الممكن للمثل العليا، فإذا ما عشنا وعملنا من أجلها، فإن أفعالنا تحيلها إلى واقع(٧٢).

ولكن بالرغم من تلك المزايا سالفة الذكر للفلسفة البراجماتية، إلا أن هناك عديدا من المآخذ نذكر من أهمها ما يأتي:

أ- يرى كثير من الباحثين أن هذه الفلسفة العملية قد جاءت انعكاسا للحياة الأمريكية بما تنطوي عليه من رغبة في الامتلاك، وإمعانا في الحياة المادية، وإعلاء لقيمة الفرد ومصالحه إلى أقصى درجة. إنها تعبر عن النظام الرأسمالي الأمريكي بما يرتبط به من مصانع كبرى، وتجارة ضخمة ومشروعات هائلة، وما يترتب على ذلك من ربح ومنفعة مادية يجب تسخير العقل البشري لبلوغ أقصى مداها. هذا النجاح العملي في دنيا الواقع هو أساس نظرية الحقيقة البراجماتية. إن الحياة الأمريكية تنطوي على تعددية في الحكومة، وتعددية في الطبقات الاجتماعية، وتعددية في المعايير الأخلاقية، وتعددية في التخصصات المهنية، وتعددية في المدارس الفكرية ... وعلى هذا الأساس يبدو أن أخذ البراجماتية بمذهب التعدد أمر منطقي تماما(٧٣).

ب- إن البراجماتية لا تقدم لنا بحثا إيجابيا عن الحقيقة، حيث إنها منهج لاكتشاف الخطأ، فالأفكار الخاطئة التي ليست لها آثار عملية، ومعنى ذلك أنها بحث سلبي وليست بحثا إيجابيا لأنه يقوم على الاستبعاد، واستبعاد الأفكار الخاطئة التي ليست لها آثار عملية(٧٤).

ج- إن معيار الحقيقة لا يمكن أن نحصره فقط في الميدان الضيق المحدود الذي يرتضيه البراجماتي، وهو الآثار العملية للفكرة. إن صدق القضايا العلمية والأخلاقية مثلا ليس محصورا فيما تترجمه هذه القضايا من آثار عملية في دنيا الواقع. لقد آمنت الإنسانية على مر العصور بمفاهيم أخلاقية كثيرة، ولكنها - رغم هذا الإيمان المطلق بهذه المفاهيم- لم تحاول أن تبحث عما لها من آثار عملية. وهذه مغالاة من الصعوبة بمكان أن نوافق عليها؛ لأن الإنسانية في كل عصر تؤمن بأفكار كثيرة لها نتائج غير مباشرة، ومع ذلك سوف تظل تقيم لها وزنا وتولي لها الاحترام(٧٥).

د. ينكر كثير من الباحثين إنكارًا تامًا ونتفق معهم في ذلك أن يكون مجال الفلسفة هو مجرد الواقع العملي المؤدي إلى خدمة الإنسان في حياته العملية كما يدعي وليم جيمس وأتباعه. إنه بالطبع أرحب من ذلك وأكثر شمولا. إننا لو سلمنا بهذا لأصبحت الفلسفة جريًا وراء تحقيق النفع العملي، ولأصبح البحث عن الحقيقة بحثًا ثانويًا بالقياس إلى البحث عن النفع العملي، وقد يؤدي هذا إلى هدم الفلسفة برمتها(٧٦).

هذا فيما يتعلق بالفلسفة البراجماتية بوجه عام.

<u>أما فيما يتعلق بموقف وليم جيمس من المبادئ الأخلاقية والدينية، يمكن القول:</u>

أولا- إنه بالرغم من أن الفلسفة البراجماتية عند وليم جيمس وأتباعه رفضت الموقف اليائس للوضعية المنطقية من الأخلاق (سلطان)؛ حيث إن نزعتها العملية قد جعلتها أقدر من غيرها من الفلسفات على مواجهة مطالب الحياة ومقتضياتها، وبالرغم من ذلك إلا أننا يجب أن نقول: إن "الخير" مثل "الحق" مستقل عن الإنسان وظروفه وأحواله، ومن ثم لا يختلف باختلاف العواطف والميول والمشاعر وغيرها من متعلقات الذات.

إن مبادئ الأخلاق – فيما نرى- لها قداستها واحترامها بصرف النظر عما يترتب عليها من نفع أو ضرر، أي أن قيمتها في ذاتها – على حد قول الفيلسوف الألماني كانط Kant (١٨٠٤-١٧٢٤). أي أن أخلاقية الأفعال تقوم على بواعثها، ولا تتوقف على آثارها ونتائجها.

ثانيًا- إن اعتبار وليم جيمس وأتباعه "للحق" أو "الخير" كالسلعة المطروحة في السوق، قيمتها لا تقوم في ذاتها، بل فيما يدفع فيها من ثمن، هذا الموقف البراجماتي من القيم الأخلاقية والمعتقدات الدينية يجعلها أقرب إلى الوهم والضلال منها إلى الحقيقة. فالحق أو الخير يجب أن يكون بعيدًا عن الخلاف بين الأفراد، والنزاع بين المجتمعات.

ثالثًا- وعلاوة على ما سبق، يمكن القول إن تطبيق المحك البراجماتي على المعتقدات الدينية والأخلاقية يعتبر- على حد قول أحد الباحثين- بالنسبة لنا كارثة. إننا لا نسلم بالحقائق الدينية لمجرد أنها نافعة، بل لأنها حقائق في ذاتها بصرف النظر عن فائدتها، ونتائجها العملية الناجحة. لأننا لو سلمنا بهذا المعيار البراجماتي كما أراد إليه وليم جيمس، لكانت أية عقيدة – مهما تكن أسباب إنكارها- حقيقة لمن يرى أنها نافعة له، وتستوي بذلك النحل والبدع المختلفة مع الديانات السماوية(٧٧).

كذلك الحال – فيما أعتقد- بالنسبة للمبادئ والقيم الأخلاقية؛ لأنها لو أصبحت معايير فردية نسبية متغيرة تخضع للمعيار البراجماتي (النجاح أو الفائدة أو المنفعة في الحياة العملية) لأمكننا أن نقول بسهولة: إن ذلك يؤدي إلى أن يكون لكل فرد صدقه الخاص به، وكذبه الخاص به، وخيره الخاص به أيضا ... وبالتالي تنهار القيم والمبادئ المطلقة، التي يجب أن يسترشد بها الأفراد والمجتمعات كمعيار للسلوك، والتي يجب أن تنطبق على الجميع في كل مكان وزمان.

رابعا: إننا في الحقيقة لا نستطيع القول إن "النافع" يكون مرادفا لما هو "خير"؛ لأن من شأن "النافع" أن يحيلنا إلى شيء آخر وهكذا، في حين أن "الخير" لا يكون إلا خيرا في ذاته، يحمل قيمته في باطنه بغض النظر عما يترتب عليه من نتائج، ولهذا يقرر هارتمان N. Harttman (١٨٨٢- ١٩٥٠)- ونحن معه في ذلك- أنه لا بد من استبعاد المنفعة من دائرة القيم الأصلية؛ لأنها لا يمكن أن تعد في ذاتها بمثابة قيمة أولية أصلية.

وأخيرا أختتم هذا البحث بقولي- اتفاقا مع أحد الباحثين- إننا في حاجة ماسة إلى القيم الأخلاقية المطلقة، وخاصة في هذا العصر الذي طغت فيه المادية على كل شيء، وأصبح معيار الفائدة هو الموجه للكثير من العلاقات الإنسانية والتفاعلات الاجتماعية، وأصبح الإنسان المعاصر يعاني من الخواء والعزلة والاغتراب، وابتعد عن حياة السكينة والتأمل والتفكير.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر:

1. James (W.): The Will to Believe and Other Essays in Popular Philosophy, Dover Publication, Inc., New York, 1898.

٢. وليم جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، مراجعة: زكي نجيب محمود، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ١٩٦٢م.

٣. ـــــ: البراجماتية، ترجمة: محمد علي العريان، تقديم: زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، ١٩٦٥م (بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة- نيويورك).

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1. Ayer (A. J.): Philosophy in the Twentieth century, Random House, New York, 1982.
2. Brinke (D. O.): Moral relation and the foundation of ethics, Cambridge university press, 1989.
3. Castell (A.): An introduction to modern philosophy, the Macmillan company, New York, 1962.
4. Goldman (A. H.): Moral Knowledge, London, 1990.
5. Hamlyn (D. W.): The penguin history of western philosophy, Penguin Books, England, 1990.
6. Hinman (L. M.): Ethics, A pluralistic approach to moral theory, fourth edition, the university of San Diego, New York, 2003.
7. Jones (W. T.) & Others: Approach to Ethics, Mcgrow- Hill Book company, New York, 1977.

8. Leech (G. N.): Priniciples of pragmatics, Longman Inc., New York, 1985.

9. Marias (L. J.): History of philosophy, translated from Spanish by: Stanley Appelaum and Clarence, Dover publication, Inc., New York, 1967.

10. Mayer (F.): A history of Modern philosophy, Eurasia publishing house, p. Ltd, New Delhi, 1987.

11. Montefoire (A.): A modern introduction to moral philosophy, London Routledge & Kegan Paul, 1967.

12. Rorty (A. O.): The many faces of philosophy, Oxford university press, 2003.

13. Smith (P.): Moral and Political Philosophy, Palgrave Macmillan, New York, 2008.

14. Stumf (S. E.): Philosophy, Hisiory & Problems, Mcgrow- Hill Inc., New York, 1994.

15. Thiroux (J. P.): Ethics, theory and practice, Macmillan publishers, London, 1977.

16. The Encyclopedia of philosophy, Vol. 4, Paul Edwards, Macmillan publishing Co., Inc. & the free press, New York, 1972.

ثالثاً: المراجع العربية:

١. إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، الجزء الأول، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

٢. أحمد عبد الحليم عطية: الفلسفة العامة "نظرة جديدة"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣. ألفريد ج. آير: الفلسفة في القرن العشرين، الطبعة الأولى، ترجمة ودراسة: بهاء درويش، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، دار الوفاء للطباعة والنشر الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

٤. إ. م. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزت قرني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.

٥. إميل برهييه: تاريخ الفلسفة، الجزء السابع، الفلسفة الحديثة، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٧.

٦. برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٧. ـــــ: حكمة الغرب، الجزء الثاني، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة: فؤاد زكريا، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٣م.

٨. بيتر سكاز: تاريخ الفلسفة في أمريكا "خلال ٢٠٠ عام"، ترجمة: حسين فصار مراجعة: مراد وهبة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

٩. توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة، دار النهضة العربية، ١٩٥٣م.

١٠. ـــــ: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، الطبعة الرابعة، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م.

١١. دافيد ر. مارسيل: فلسفة التقدم عند جيمس وديوي وبيرد، ترجمة: خالد المنصوري، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.

١٢. رالف بارتون بيري: أفكار وشخصية وليم جيمس، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٣. زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، الطبعة الثالثة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٤.فايزة أنور شكري: المذاهب الأخلاقية بين الإسلاميين والغربيين، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٨م.

١٥. محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والاعتقاد الديني "وليم جيمس نموذجاً"، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

١٦. محمد عبد الحفيظ: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.

١٧.محمد عثمان الخشت: الاعتقاد بين الإرادة والبرهان عند وليم جيمس، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، عدد ٢٤ أكتوبر ٢٠٠١م.

١٨.محمد فتحي الشنيطي: وليم جيمس، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٧م.

١٩.محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م.

٢٠.ـــــــــ: تطور الفكر الأخلاقي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢١.محمد مهران رشوان، محمد مدين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢٢.محمود زيدان: وليم جيمس، دار المعارف بمصر، ١٩٥٨م.

٢٣.محمود عثمان: الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، الطبعة الثانية، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.

٢٤.مراد وهبه: المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٥. نصار عبد الله: دراسات في الأخلاق والسياسة والقانون، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٢٦. هنترميد: الفلسفة، أنواعها ومشكلاتها، ترجمة وتقديم: فؤاد زكريا، مكتبة مصر القاهرة، ١٩٧٩م.

٢٧.وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد محمد، تقديم ومراجعة: إمام عبدالفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٨.يحيى هويدي: مقدمة في الفلسفة العامة، الطبعة السابعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٢م.

هوامش البحث:

(*) هناك صورتان من صور النسبية الخلقية Ethical Relativity:

- الصورة الأولى: وهي صورة متطرفة، ويمكن أن نطلق عليها النسبية الذاتية أو الفردية، والمقصود بها اختلاف الأحكام الخلقية من فرد إلى آخر.
- أما الصورة الثانية: فهي النسبية الاجتماعية، وهي النسبية في صورتها الموضوعية المعتدلة، والمقصود بها: أن الأحكام الخلقية تكون خاصة بمجتمع معين في زمان معين وفي مكان معين، بل إن المفاهيم الخلقية تختلف من مرحلة إلى مرحلة في حياة هذا المجتمع أو ذاك.

(انظر: نصار عبد الله: دراسات في فلسفة الأخلاق والسياسة والقانون، دار الوفاء، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ٥٩- ٧٧).

(١) توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، الطبعة الرابعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٢٧- ٢٨، وكذلك انظر:

- **Jacques P. theireoux: Ethics, theory and practice, Macmillan publishers, London, 1977, pp. 3-4.**
- **Paul Smith: Moral and Political Philosophy, Palgrave Macmillan, New York, 2008, pp. 129- 230.**

وكذلك انظر:

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨- ٢٩.

(3) **Jacques P. theireaux: Op. Cit., p. 57.**

(*) وليم جيمس عالم نفساني وفيلسوف براجماتي أمريكي ولد في مدينة نيويورك في ١ يناير عام ١٨٤٢م، وتوفي في أغسطس ١٩١٠م، ومن أهم مؤلفاته:

١. مبادئ علم النفس عام ١٨٩٠م **Principles of Psychology**
٢. إرادة الاعتقاد ومقالات أخرى عام ١٨٩٧م. **The will to Believe and Other Essays.**
٣. صنوف من التجربة الدينية عام ١٩٠٢م. **Varieties of Religions Experience**
٤. التجريبية الأصلية **Essays in Radical Empiricism**
٥. البراجماتية عام ١٩٠٧م. **Pragmatism**
٦. الكون المتعدد عام ١٩٠٨م. **A pluralistic Universe**
٧. معنى الصدق عام ١٩٠٩م. **The Meaning of Truth**
٨. بعض المشكلات الفلسفية **Some Problems of Philosophy** وقد نشر بعد وفاته.

انظر:

- **The Encyclopedia of philosophy, Macmillan Publishing Co., Inc & the free press, New York, 1972, Vol. 4, p. 240.**
- **Amelie Oksenberg Rorty: The many faces of philosophy, Oxford University Press, 2003, p. 370.**
- عزمي إسلام: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، الطبعة الأولى، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨١، ص ٨٨.
- ألفريد. ج. آير: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة ودراسة: بهاء درويش، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص ١٥٥-١٥٧.

(٤) **Hamlyn, D. W., The Penguin History of Philosophy, Penguin Books, England, 1990, p. 285.**

كذلك انظر: توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية، نشأتها وتطورها، ص ٢٩٦.

(*) البراجماتية **Pragmatism**: لقد وردت هذه الكلمة في مقال الفيلسوف الأمريكي البراجماتي تشارلس بيرس كيف نوضح أفكارنا **how to make our ideas clear?**، وقد أشار إلى أن معنى الفكرة أو تصورنا لموضوع يكون بالقياس إلى آثاره العملية.

أما وليم جيمس فقد أشار في إحدى محاضراته في كتاب البراجماتزم إلى أن الكلمة مأخوذة من الكلمة **Pragma** أي العمل، فلكي نوضح أفكارنا في موضوع ما لا نحتاج إلا أن نأخذ في اعتبارنا ما ترتب عليه من آثار عملية قد يتضمنها الشيء أو الموضوع.

انظر: وليم جيمس: البراجماتزم، ترجمة: محمد علي المريان، تقديم: زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، ١٩٦٥م، المحاضرة الثانية، ص ٦٥.

كذلك انظر:

- محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٤١.
- محمد مهران، محمد مدين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٤٢.

(٥) محمود زيدان: وليم جيمس، دار المعارف بمصر، ١٩٥٨، ص ٤٥.

(٦) المرجع السابق، نفس الصفحة. كذلك انظر:

Fredrick Mayer: History of Modern Philosophy Eurasia Publishing House, P. Ltd, New Delhi, 1987, p. 531.

(٧) وليم جيمس: البراجماتزم، الترجمة العربية، المحاضرة الأولى بعنوان: المعضلة الرامنة في الفلسفة، ص ٥٠ – ٥١.

(٨) المرجع السابق: المحاضرة الثانية بعنوان معنى البراجماتية، ص ٦٢-٦٤.

(٩) **J. Julian Marias: History of Philosophy, Dover Publication, Inc, New York, 1967, p. 397.**

(١٠) وليم جيمس، البراجماتزم، الترجمة العربية، ص ٦٥ـ ٦٦.

(*) هذا المنهج هو الذي نادى وليم جيمس بتطبيقه على جميع الأفكار الفلسفية والمعتقدات الدينية بما في ذلك المبادئ الأخلاقية، حيث إن مقياس الحق والباطل في مجال المعرفة هو نفسه معيار الصواب والخطأ، والخير والشر في مجال الأخلاق عند البراجماتيين، كما سبق القول في مقدمة البحث.

(١١) محمود زيدان: وليم جيمس، ص ٤٥، ٤٦. كذلك انظر:

(١٢) محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص ٦٢.

(١٣) وليم جيمس: البراجماتزم، الترجمة العربية، المحاضرة الثانية، ص ٦٤ وما بعدها.

(١٤) المرجع السابق، المحاضرة الثانية، ص ٦٤ـ ٦٥.

(١٥) يحيى هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م، ص ١٢٥. كذلك انظر:

J. Mayer: A history of modern Philosophy, p. 537.

(*) يلاحظ وليم جيمس أن أشد الفلاسفة تشبثا بالتجريبية وإصرارا على اتباعها، وفي مقدمتهم هيوم P. Hume (١٧١١ـ ١٧٧٦)، وجون سيتوارت مل S. Mill (١٨٠٦ـ ١٨٧٣)، قاموا بتحليل حياتنا العقلية، وردوها إلى معطياتها الأولية، أعني إلى الإحساسات بأنواعها، ثم استنتجوا من تميز هذه الإحساسات أن هذه العناصر منفصلة في أصلها، ومن ثم وجدوا أنفسهم قاصرين عن بناء الوحدة، أي وحدة الشعور من هذه العناصر المنعزلة.

إن حياتنا النفسية – فيما يرى وليم جيمس- ليست عناصر متعددة، لكل عنصر كيانه الخاص ووجوده المستقل، ذلك لأن التجربة لا تكشف لنا إلا عن تيار من الشعور، وهو تيار متدفق متصل، فوحدة الشعور قائمة دون حاجة بنا إلى أن نلوذ بمبدأ ميتافيزيقي يدعمها، وهذا يذكرنا بما ذهب إليه برجسون H. Bergson (١٨٥٩ـ ١٩٤١م) في كتابه «وقائع الوجدان»، حيث يرى أن هذه الوقائع تيار متدفق من ظواهر متنوعة، ولكن هذا التيار لا يتألف من كميات، بل ينتظم في حلقات مرتبطة من الكيفيات، وعلى ذلك فظواهر الشعور أو وقائع الوجدان تختلف اختلافا بينا في طبيعتها عن الظواهر المادية، ذلك لأن الظواهر المادية لا تعدو أن تكون عددا كبيرا من الأحداث يتميز بعضها عن بعض. أما الحياة النفسية فهي تلقائية خالصة وديمومة وصيرورة.

(١٥) انظر: محمد فتحي الشنيطي: وليم جيمس، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٥٧م، ص ٩٥ـ ٩٨. المرجع السابق، ص ١٢٦.

(١٦) كذلك انظر: وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١، ص ٤٧٩. يحيى هويدي: قصة الفلسفة الغربية، ص ١٢٦.

(*) يرى بعض الباحثين أن البراجماتية في تيارها الأمريكي الإنجليزي ليست نظرية في المعرفة فحسب، بل تضاف إليها في الأغلب فلسفة للحياة تشبه كثيرا فلسفة الحياة عند برجسون H. Pergson (١٨٥٩ـ ١٩٤١م)، وهذه الفلسفة الحيوية البراجماتية ترى أن الحقيقة لا تعرف الثبات، بل هي تسيل وتتخلق ألوانا من الخلق الحر.

(انظر: إ. م. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م، ص ١٩٤). كذلك انظر:

Hamlyn (D. W.): The Penguin History of Western Philosophy, p. 286.

(17) F. Mayer: A history of modern philosophy, p. 532.

وكذلك انظر:

Encyclopedia of philosophy, Vol. 4, pp. 246-247.

(١٨) محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص ٦٥-٦٦.

(19) Fredrick Mayer: A history of modern philosophy, p. 532.

(٢٠) وليم جيمس: البراجماتزم، الترجمة العربية، المحاضرة السادسة بعنوان مفهوم البراجماتية للحقيقة، ص ٢٤٠.

(٢١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢٢) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر للطباعة والنشر، ١٩٦٨، ص ٣٢. كذلك انظر: صلاح إسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٣١.

D. W. Hamlyn: The Penguin History of Western Philosophy, Penguin Books, England, 1990, p. 285.

(٢٣) محمود زيدان: وليم جيمس، ص ٦٧.

كذلك انظر: فايزة شكري: المذاهب الأخلاقية بين الإسلاميين والغربيين، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ١٦٨.

(٢٤) ألفرد آير: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة: بهاء درويش، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ١٦٩، ١٧٣.

(٢٥) وليم جيمس: البراجماتيزم، المحاضرة السادسة، بعنوان مفهوم الحقيقة البراجماتية، الترجمة العربية، ص ٢٤١.

(٢٦) أ.م. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة وتعليق: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م، ص ١٩٦.

(*) فيما يتعلق بموقف وليم جيمس من المعتقدات الدينية، يمكن القول:

إنه كان يرى أن الاعتقاد في وجود الله اعتقاد صحيح؛ لأنه يؤدي إلى نتائج عملية مرضية، ولا أهمية هنا للبحث فيما إذا كان الله (الله) موجودا أم غير موجود؛ لأن هذا الأمر لا يحدث فارقا فيما يقع في خبرة الفرد. إن اعتقاد الفرد بوجود الله من شأنه أن يحدث نتائج مرضية بطريق غير مباشرة، حيث يشعر الفرد بالراحة والسلوى، ويجعله أكثر تفاؤلا، وأكثر امتلاء بالأمل وبالثقة والأمان في المستقبل.

(انظر: محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص ٨٦. وأيضا:

- كتاب مقدمة في الفلسفة المعاصرة، ص ٦٤ لنفس المؤلف بالمشاركة مع د. محمد مدين.

- محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والاعتقاد الديني (وليم جيمس نموذجا)، ص ٢ (المقدمة).

(٢٧) محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص ٥٥، ٥٦. كذلك انظر: محمد مهران، محمد مدين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٥٤، ٥٥.

D. W. Hamlyn: The Penguin History of Philosophy, p. 285.

(٢٨) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، الجزء الأول، ص ٣٦. كذلك انظر: ألفرد ج. آير: الفلسفة في القرن العشرين، ص ١٥٧- ١٥٩.

- D. W. Hamlyn: The Penguin History of Philosophy, p. 285.
- The Encyclopedia of Philosophy, Vol. 4, pp. 243- 244.

(٢٩) وليم جيمس: البراجماتزم، المحاضرة الرابعة "الواحد المتعدد"، الترجمة العربية، ص ١٩٣، ١٩٤.

(٣٠) المصدر السابق، ص ١٩٦. كذلك انظر: وليم جيمس: بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، مراجعة: زكي نجيب محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١١٧- ١٢٢.

(٣١) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ٤٤.

(٣٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(*) لقد خرج وليم جيمس من سنوات فنوطه ويأسه بعقيدة راسخة في حرية الإرادة، والواقع إن الفيلسوف الفرنسي شارل رينوفييه (١٨١٥- ١٩٠٣م) هو الذي أنار له الطريق، حيث كانت دعوته الفلسفية تتميز بالعملة على المذاهب المطلقة، وإنكار كل ما هو متعال كالشر في ذاته، وبكل المطلق، وتشيد بالحرية. ولقد كتب وليم جيمس في إحدى مذكراته (بتاريخ ٣٠ أبريل ١٨٧٠م) يقول:

"لقد أن يوم أمس قد خلق أزمة في حياتي، فقد كنت قد انتهيت من قراءة الجزء الأول من البحث الثاني الذي نشره رينوفييه، وأنا لا أرى ثمة سبب يدعو إلى أن يصبح تعريفه للإرادة الحرة تعريفا لوهم من الأوهام، وهو التعريف الذي يقول بأن الإرادة الحرة هي دعم فكرة، لأني اخترت أنا هذا".

(نقلا عن: بول. فد بولر: الحرية والقدر في الفكر الأمريكي، ترجمة: إسماعيل مكشميري، مراجعة: نور الدين الزواوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م، ص ٢٠٦).

(٣٣) إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، الجزء الأول، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ١١٣.

(٣٤) وليم جيمس: البراجماتزم، المحاضرة الثالثة "بعض مشكلات الميتافيزيقا على المحك البراجماتي"، الترجمة العربية، ص ١٤٩.

(٣٥) محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والاعتقاد الديني، وليم جيمس نموذجا، ص ١٠٩.

(36) W. Games: The Will to Believe and Other Essays in Popular Philosophy, New York, 1898, "The Moral Philosophy and The Moral Life", Ch. 5, pp. 190 – 191.

(٣٧) صلاح قنصوة: نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧١م، ص ١٣٨- ١٤٠. كذلك انظر:

D. W. Hamlyn: The Penguin History of philosophy, p. 285.

(38) Julian Marias: History of Philosophy, Translated from Spanish by Stanley Appelbaum and others, p. 397.

كذلك انظر: توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق، ص ٢٩٦.

(٣٩) وليم جيمس: البراجماتزم، الترجمة العربية، المحاضرة السادسة بعنوان: "مفهوم البراجماتية للحقيقة"، ص ٢٣٩.

(٤٠) المرجع السابق، ص ٢٤٠- ٢٤١.

(41) Alburey Castell: An introduction to modern philosophy, Macmillan company, New York, 1962, pp. 360 – 363.

(٤٢) وليم جيمس، البراجماتزم، الترجمة العربية، المحاضرة الثانية، ص ٧٣، ٧٤.

(٤٣) المرجع السابق، المحاضرة السادسة تحت عنوان: مفهوم البراجماتية للحقيقة، ص ٢٦٢.

(٤٤) ألفريد ج آير: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة: بهاء درويش، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، ص ١٦٩، ١٧٣.

وإلى مثل هذا القول يذهب د. توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق، ص ٢٩٦؛ كذلك انظر:

Julian Marias: History of Philosophy, Translated from Spanish by Stanley Appelbaum and others, p. 397.

(45) Castell (A.): An introduction to modern philosophy, pp. 360 – 363.

كذلك انظر:

- Rorty (A. O.): The many faces of philosophy, Oxford university press, 2003, pp. 377- 379.

(٤٦) محمد فتحي الشنيطي: وليم جيمس، ص ١٧٩. كذلك انظر:

Rorty (A. O.): The Many Faces of Philosophy, p. 375.

(٤٧) المصدر السابق، ص ١٨٠.

(48) Castell (A.): An Introduction to Modern Philosophy, p. 368.

(*) لم يهتم وليم جيمس بتحديد المثل العليا، كما سوف يتضح لنا التي يدعونا للجهاد من أجلها، وإنما ترك لكل فرد أن يفهم هذه المثل وفقاً لظروفه وأحواله، ويكتفي الفيلسوف الأخلاقي بالتوجيه فحسب.

(49) Ibid., p. 370.

(50) James (W.): The will to believe, "The moral philosophy and the moral life", ch. 5, p. 189.

(51) Ibid., ch. 5, p. 190.

(٥٢) محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والاعتقاد الديني، وليم جيمس نموذجاً، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص ١٠٩.

(53) James (W.): Op. Cit., pp. 190 – 191.

(٥٤) محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص ٦٦، ٦٧.

(*) هذا هو نفس المنهج الذي نادى وليم جيمس بتطبيقه – كما سبق القول- على القيم والمبادئ الأخلاقية؛ حيث إن مقياس الحق والباطل في مجال المعرفة هو نفسه معيار الخير والشر في مجال الأخلاق.

(55) Samuel E. Stumf: Philosophy, History & Problems, McGrow- Hell, Inc., New York, 1994, p. 289, 291.

(56) W. James: The will to believe, Ch. 5, pp. 191 – 192.

(57) Ibid., p. 192.

(58) W. James: The will to believe, Ch. 5, p. 197.

(59) Ibid., p. 193.

(60) A. Castell: An introduction to modern philosophy, p. 366. كذلك انظر:

- A. O. Rorty: The many faces of philosophy, p. 377.

(61) W. James: The will to believe, Ch. 5, p. 201.

(62) A. Castell: Op. Cit., p. 367.

(63) Ibid., ch. 5, p. 193.

(٦٤) فايزة شكري: المذاهب الأخلاقية بين الإسلاميين والغربيين، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ١٦٧ـ ١٦٨.

(٦٥) محمد فتحي الشنيطي: وليم جيمس، ص ١٨٣. كذلك انظر:

- Rorty (A. O.): The Many Faces of Philosophy, p. 377.
- Castell (A.): An Introduction to Modern Philosophy, p. 368.

(٦٦) محمد فتحي الشنيطي: وليم جيمس، ص ١٨٣ـ ١٨٤.

(٦٧) المرجع السابق، ص ١٨٤. كذلك انظر:

- D. W. Hamlyn: The penguin History of Philosophy, p. 286.

(68) W. James Will to believe, Ch. 5, p. 201.

(69) Castell: An introduction to modern philosophy, pp. 366- 367.

(٧٠) محمود زيدان: وليم جيمس، ص ٧٢.

(٧١) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج١، ص ٥٤. كذلك انظر: بيتر كاز: تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال ٢٠٠ عام، ترجمة: حسين نصار، مراجعة: مراد وهبة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م، ص ٢١٨ـ ٢١٩.

(٧٢) محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص ٧٧ـ ٧٨، كذلك انظر:

محمد مهران، محمد مدين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، ص ٧٢ـ ٧٣.

Lawrence M., Hinman: Ethics, A pluralistic approach to moral theory, youth edition, the university of San Diego, New York, 2003, pp. 285-286.

(٧٣) محمد مهران رشوان: مرجع سابق، ص ٧٨ـ ٧٩. كذلك انظر: رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص ٤٧٤ـ ٤٧٥.

(٧٤) يحيى هويدي: مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ص ١٦١. كذلك انظر:

Rorty (A. O.): The Many Faces of Philosophy, p. 378.

(٧٥) المرجع السابق، ص ١٦٢، كذلك انظر: بيتر كاز: تاريخ الفلسفة في أمريكا، ترجمة: حسين نصار، مراجعة: مراد وهبة، ص ٢١٠.

(٧٦) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(*) تذهب الوضعية المنطقية Logical Positivists إلى أن قضايا الأخلاق لا توصف بالصدق ولا بالكذب لأنها أوامر أو نصائح وتعبيرات عن انفعالات نفسية، وهي في نظرهم كلام فارغ.

(٧٧) محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص ٨٥.

كذلك انظر: محمد مهران، محمد مدين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٧٩.